

مختصر ابن كثير

63 - هذه جهنم التي كنتم توعدون .

- 64 - اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون .

- 65 - اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون .

- 66 - ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأني يبصرون .

- 67 - ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون .

يقال للكفرة منبني آدم يوم القيمة وقد برزت الجحيم لهم تقريراً وتوبيناً { هذه جهنم التي كنتم توعدون } أي هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموه { اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون } كما قال تعالى : { يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون } قوله تعالى : { اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون } هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيمة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلقون ما فعلوه فيختتم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت عن أنس بن مالك رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواحده ثم قال صلى الله عليه وسلم : " أتدرون من أضحك ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم : " من مجادلة العبد ربه يوم القيمة يقول : رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بل فيقول : لا أجيئ علي إلا شاهداً من نفسي فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسوباً وبالكرام الكاتبين شهوداً فيختتم على فيه ويقال لأركانه : انطق فتنطق بعمله ثم يخلو بينه وبين الكلام فيقول : بعدها لكن وسقاً فعنك كنت أناضل " (أخرجه ابن أبي حاتم ورواه مسلم والنسائي بنحوه) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيمة الطويل قال فيه : " ثم يلقى الثالث فيقول : ما أنت ؟ فيقول : أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويشتري بخير ما استطاع - قال - فيقال له ألا نبعث عليك شاهدنا ؟ - قال : فيفتك في نفسه من الذي يشهد عليه فيختتم على فيه ويقال : لفخذه انطق - قال - فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليغدر من نفسه وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه " (أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة بطوله) .

وروى ابن جرير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : يدعى المؤمن للحساب يوم القيمة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول : نعم أي رب عملت عملت عملت قال : فيغفر الله تعالى له ذنبه ويستره منه قال : مما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً وتبعد

حسناً ته فود الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجدد ويقول : أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك : أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزتك أي رب ما عملته فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعري ب : فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى ثم تلا : { اليوم نختم على أفواهم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون } (أخرجه ابن حير وهو حديث موقوف على أبي موسى الأشعري ب) . قوله تبارك وتعالى : { ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون } قال ابن عباس في تفسيرها يقول : ولو شاء لطمس على أعينهم فجعلهم عميا يتربدون وقال السدي : ولو نشاء أعمينا أبصارهم وقال مجاهد وقتادة والسدي : { فاستبقوا الصراط } يعني الطريق وقال ابن زيد يعني بالصراط هنا الحق فأنّى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم ؟ وقال ابن عباس { فأنّى يبصرون } لا يبصرون الحق قوله د : { ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم } قال ابن عباس : أهلتناهم وقال السدي : يعني لغيرنا خلقهم وقال أبو صالح : لجعلناهم حجارة وقال الحسن البصري وقتادة : لأقعدهم على أرجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى : { مما استطاعوا مضيا } أي إلى الأمام { ولا يرجعون } إلى وراء بل يلزمون حالا واحدا لا يتقدمون ولا يتأخرون